Tamazight Literacy: Between the Advantage of Orthographic Transparency and the Disadvantage of a Poor Literacy Environment

Dr. Noura SAHAL[1]

Faculty of Education Sciences,
Mohammed V University, Rabat, Morocco

Science Step Journal / SSJ

2024/Volume 2 - Issue 7

To cite this article:
Sahal, N. (2024). Tamazight Literacy: Between the Advantage of Orthographic Transparency and the Disadvantage of a Poor Literacy Environment. Science Step Journal, 2(7), 227-240. https://doi.org/10.6084/m9.figshare.28121282. ISSN: 3009-500X.

Abstract

In this article, we explore the issue of Tamazight literacy, aiming to highlight the facilitating and hindering factors that influence the learning of reading and writing in Tamazight, specifically in Morocco's educational context. In this context, we elaborate on the impacts of two opposing factors: one facilitating and the other hindering (the independent variables) in Tamazight literacy (the dependent variable) in general, and in Moroccan schools in particular, using a descriptive-analytical approach. While the orthographic transparency of Tamazight (1st independent variable) serves as a facilitating factor in easing and enhancing literacy learning, its reading-poor environment (2nd independent variable) presents a hindering factor and a significant obstacle.

We present the features of the orthographic transparency of Tamazight (shallow orthography), where phonemes and graphemes correspond directly in a way that helps facilitate its learning (orthographic depth hypothesis). In contrast, we highlight the constraint that hinders the progress of Tamazight literacy, embodied in the literacy-poor environment, due to the marginalization of Tamazight in the political, educational, and social landscape of Morocco. This marginalization significantly reduces opportunities for learners to be exposed to Tamazight, particularly in its written and read forms, thereby diminishing the positive effects of its orthographic transparency. Therefore, we advocate for enriching the literacy environment for learners to enhance the teaching and learning of Tamazight.

Keywords: Tamazight Literacy, Orthographic Transparency, Reading-poor Environment

[1] PhD in Education Sciences, focusing on the analysis and evaluation of education and training systems, specializing in Arabic Language Didactics.noura_sahal@hotmail.fr

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

القرائية الأمازيغية: بين امتياز الشفافية الإملائية وإكراه فقر المحيط القرائي

دة. نورة سهال[2]

جامعة محمد الخامس، كلية علوم التربية،
الرباط، المغرب.

ملخص

يتمحور هذا المقال حول إشكالية القرائية الأمازيغية (Tamazight literacy) والعوامل المتحكمة في تحديد مساراتها؛ إذ نسعى إلى إبراز العوامل المساعدة والمُعيقة المؤثرة في تعلم القراءة والكتابة بالأمازيغية، في السياق التعليمي بالمغرب تحديداً .

نركز في هذا السياق على إبراز أثر عاملين متعارضين، أحدهما مُساعد والآخر معيق (المتغيرين المستقلين)، في القرائية الأمازيغية (المُتغير التابع) عامة، وبالمدرسة المغربية خاصة، باعتماد منهج وصفي تحليلي. فإذا كانت الشفافية الإملائية (orthographic transparency)للأمازيغية (المُتغير المُستقل الأول) عاملاً مساعداً في تيسير وتعزيز مسارات تعلمها قراءةً وكتابةً، فإن فقر وضعف محيطها القرائي (literacy environment) (المُتغير المستقل الثاني) يشكل عائقاً حقيقيا في مسار تعلمها وتعليمها.

نعرض في هذا المقال مظاهر وتجليات شفافية الإملائية الأمازيغية (shallow orthography) التي يتوافق نسقها الفونيمي الحرفي بشكل يساعد على تيسير تعلمها (فرضية العمق الإملائي orthographic depth hypothesis). ونبرز، في مقابل ذلك، الإكراه الذي يعيق مسارات هذه القرائية المتجسد في فقر المحيط القرائي (poor literacy environment)، نظرا لإزاحة الأمازيغية من المشهد السياسي والتربوي والاجتماعي بالمغرب، مما يقلص بشكل كبير فرص تعرض المتعلمين للأمازيغية، تحديداً في صيغتها المكتوبة والمقروءة، ويقلص كذلك الآثار الإيجابية لشفافيتها الإملائية. وندعو، من هذا المُنطلق، إلى إغناء المحيط القرائي للمتعلمين، في سبيل النهوض بواقع تدريس وتعلم الأمازيغية.

الكلمات المفتاحية: القرائية الأمازيغية، الشفافية الإملائية، فقر المحيط القرائي.

[2] حاصلة على شهادة الدكتوراه في علوم التربية، محور تحليل وتقييم أنظمة التربية والتكوين، تخصص: ديداكتيك اللغة العربية.
noura_sahal@hotmail.fr

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

تقديم

تعتبر الأمازيغية لغة وطنية للمغرب، والمعبّر الأصيل عن هويته التاريخية؛ لكن مع ذلك، فقد أُزيحت من المشهد السياسي والإعلامي والتربوي، والاعتراف بها لغة رسمية للبلاد لم يتحقق إلا بعد صدور دستور 2011. ورغم كونها لغة وطنية ورسمية للبلاد، فإن حضورها لايزال باهتا ضعيفا، خاصة في الجانب المرتبط بالكتابة، ولم يتم بعد تعميمها في المدارس رغم إدراجها في التعليم منذ سنة 2003، حينما أصدرت وزارة التربية الوطنية منذ 01 شتنبر 2003 مذكرة إدماج تدريس اللغة الأمازيغية في الأسلاك الدراسية.

وعلى مر مراحل تاريخ المغرب، فالأمازيغية لطالما انحصرت في التداول الشفهي دون أن تُدرج في سياقات مؤسساتية رسمية مقترنة بالتدوين، كما لم يشهد المغرب في الماضي تجارب في تدريس الأمازيغية في المؤسسات التعليمية باستثناء تجربة "الثانوية الأمازيغية بأزرو"، التي تأسست سنة 1927 خلال الاستعمار، حيث كانت تُدرَّس الأمازيغية إلى جانب مواد أخرى. وقد أُلغي تدريس الأمازيغية في هذه الثانوية بعد الاستقلال. ورغم العودة إلى تدريس الأمازيغية بعد تجربة "الثانوية الأمازيغية بأزرو" في المدارس المغربية، ابتداءً من سنة 2003، إلا أن وضعية تدريسها لم ترتقِ بعد إلى الأفق المطلوب، ولازالت تواجه العديد من الإكراهات والتحديات، خاصة على مستوى القرائية/ الأحرفية (literacy)، بما تحيل إليه من قدرة على القراءة والكتابة، مما يثير عدة تساؤلات حول خصوصية القرائية الأمازيغية، ومقوماتها اللغوية الإملائية، والأسباب الكامنة وراء ما تواجهه من إكراهات بالمغرب عامة، وفي السياق التعليمي التربوي خاصة.

وفي هذا السياق، نتوخى رصد أبرز العوامل المتحكمة في القرائية الأمازيغية (Tamazight literacy)بالمغرب، بالتركيز على النسق الإملائي للأمازيغية، وعلى طبيعة المحيط القرائي (الأحرفي) للأمازيغية. نهدف بالتالي من خلال هذا المقال إلى إبراز تأثر القرائية الأمازيغية، باعتبارها المُتغير التابع (dependent variable)، بالمتغيرين المستقلين (independent variables) المتمثلين في الشفافية الإملائية للأمازيغية (المتغير المستقل الأول) وفقر المحيط القرائي (المتغير المستقل الثاني).

1.مفهوم القرائية/ الأحرفية (literacy)

إذا كان المصطلح الأجنبي (literacy) يحظى بشيوع وتداول على نطاق واسع يُراد به تعلم القراءة والكتابة، فإن الأبحاث والدراسات المنجزة بالعربية لم تستطع بعد أن تؤسس مقابلاً عربيا بنفس درجة الشيوع والانتشار. وإن شاع توظيف مصطلح "القرائية" كمقابل عربي لهذا المفهوم في بعض الدراسات، فقد اعتُبر من طرف باحثين آخرين ترجمةً غير دقيقة بحكم أن مصطلح (literacy) يشمل ما هو قرائي وكتابي، مقترحين (الأحرفية) كترجمة أدق من الناحية اللغوية بحكم الاشتقاق من نفس الجذر (الذي يمثل النواة الدلالية)، فمصطلح literacy مشتق من كلمة (letter) الذي مقابله في اللغة العربية الحرف، مما يجعل مفهوم 'الأحرفية' المقابل الأدق لغويا لمصطلح literacy. (الفاسي الفهري، 2019. ص 178).

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

تحيل القرائية/ الأحرفية إلى القدرة على القراءة والكتابة، مما يجعلها مقابلاً للأمية (illiteracy). وتحظى بأولوية في كافة البرامج الإصلاحية التربوية، باعتبارها أساس بناء المعارف في كل الميادين والحقول المعرفية، ومدخلاً أساساً لتحقيق الاندماج الاجتماعي، والانخراط الفعال في كافة مجالات الحياة.

تكتسي القرائية/ الأحرفية طابعاً دينامياً متغيرا يتجسد في تطور التعاريف التي قدمتها منظمة اليونسكو حول هذا المفهوم. فقد عرَّفت (literacy) سنة 1958 بالقدرة على القراءة والكتابة المقترنة بالفهم لعبارات قصيرة بسيطة مرتبطة بحياته اليومية؛ أما خلال سنة 1978، فقد عرَّفتها بالقدرة على المشاركة في جميع الأنشطة التي تستلزم معرفة القراءة والكتابة، قصد الانخراط الفعال داخل المجتمع، والاستمرارية في القدرة على القراءة والكتابة والحساب لتطوير ذاته ومجتمعه. وسَّعت اليونسكو مدلول القرائية سنة 2003 ليشمل القدرة على التحديد والفهم والتأويل والإبداع والتواصل والحساب. كما اقترحت سنة 2004 مفهوماً جديدا اصطلحت عليه تعددية القرائية «plurality of literacy»، ركزت من خلاله على الأبعاد الاجتماعية لاكتساب واستعمال القرائية. ورغم دينامية مفهوم القرائية وتطوره مع الوقت ليتسع ويشمل مجالات أرحب، فإننا نوظف في المقال هذا المفهوم في اقترانه بالقراءة والكتابة.

2. النسق الفونوغرافي للأمازيغية المعيارية المعتمدة في التدريس بالمغرب

1.2. الجدل حول حرف كتابة الأمازيغية

طرحت الكتابة الأمازيغية جدلاً واسعاً، وأفرزت اختلافا في الآراء والمواقف حول الحرف الأنسب لتدوينها بين ثلاثة تيارات مختلفة: التيار المدافع عن حرف تيفيناغ بحمولاته التاريخية الهوياتية، في مقابل الاتجاه الذي يدعو إلى تبني الحرف اللاتيني لعالميته، فضلاً عن موقف آخر يدعم فكرة اعتماد الحرف العربي في تدوين الأمازيغية. وقد أفضى هذا الاختلاف إلى اعتماد حرف تيفيناغ بشكل رسمي لكتابة الأمازيغية، بتاريخ 10 فبراير 2003، بعد الموافقة الملكية على الرأي الاستشاري لمجلس إدارة المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية (IRCAM).

لم يوقف الاعتماد الرسمي لتفيناغ حرفا رسميا لكتابة الأمازيغية وتدريسها بالمدارس المغربية استمرارَ النقاش والجدال حول الخط الأنسب لتدوينها، فإذا كان ترسيم ومأسسة حرف تيفيناغ قد حظي باستحسان وتأييد البعض، فإن مواقف أخرى تنتقد هذا الاختيار، وتعتبر تيفيناغ عائقاً يحول دون النهوض والارتقاء بتعليم وتعلم الأمازيغية، ويعرقل مسار تفعيل طابعها الرسمي.

2.2. أبجدية تيفيناغ المعتمدة رسميا في التدريس

بعد اختيار أبجدية تيفيناغ حرفا رسميا لتدوين اللغة الأمازيغية خلال 10 فبراير 2003، عمل مركز التهيئة اللغوية على صياغة نظام حرفي قائم على البُعد الفونولوجي (وليس الفونيتيكي)، يراعي وظائف الفونيمات في تحديد المعاني، دون إدراج بعض التنوعات الصوتية المحلية التي لا تؤدي دوراً وظيفيا، مع مراعاة معيار الشيوع والامتداد الجغرافي، من خلال الحرص على انتقاء ما هو مشترك، وإهمال

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

بعض الوحدات الصوتية النادرة. ونعرض فيما يلي الجدول الرسمي لألفبائية تيفيناغ كما وضعه مركز التهيئة اللغوية وصادق عليه المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية:

جدول رقم 1: أبجدية تيفيناغ

تسمية الحرف	تيفيناغ ⵜⵉⴼⵉⵏⴰⵖ	المقابل اللاتيني	المقابل العربي
Ya	ⴰ	A	ا (أو الفتحة)
Yab	ⴱ	B	ب
Yag	ⴳ	G	گ
yag^{w}	ⴳ^{ⵓ}	g^{w}	گ،
Yad	ⴷ	D	د
Yaḍ	ⴹ	Ḍ	ض
Yey	ⴻ	E	
Yaf	ⴼ	F	ف
Yak	ⴽ	K	ك
yak^{w}	ⴽ^{ⵓ}	k^{w}	ك،
Yah	ⵀ	H	ه
Yaḥ	ⵃ	Ḥ	ح
Yaɛ	ⵄ	ɛ	ع
Yax	ⵅ	X	خ
Yaq	ⵇ	Q	ق
Yi	ⵉ	I	الكسرة
Yaj	ⵊ	J	ج
Yal	ⵍ	L	ل
Yam	ⵎ	M	م
Yan	ⵏ	N	ن
Yu	ⵓ	U	الضمة
Yar	ⵔ	R	ر
Yaṛ	ⵕ	Ṛ	ڕ
Yaɣ	ⵖ	ɣ	غ
Yas	ⵙ	S	س
Yaṣ	ⵚ	Ṣ	ص

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

Yac	ⵛ	C	ش
Yat	ⵜ	T	ت
Yaṭ	ⵟ	Ṭ	ط
Yaw	ⵡ	W	و
Yay	ⵢ	Y	ي
Yaz	ⵣ	Z	ز
Yaẓ	ⵥ	Ẓ	ژ

3.2. النظام الصامتي لأبجدية الأمازيغية المعيارية

تتألف أبجدية الأمازيغية من ثلاثة وثلاثين حرفا/فونيما، منها 27 صامتا، واثنين أشباه الصوامت، الياء ⵢ والواو ⵡ، بالإضافة إلى أربعة صوائت؛ وتتنوع صفات ومخارج هذه الصوامت، نعرضها بالتفصيل في الجدول التالي: (اعمر، مفتاحة وآخرون 2006. ص 19)

جدول 2: النظام الصائتي للأمازيغية المعيار

طريقة التلفظ / المخرج			شفتاني	أسناني	لثوي	حنكي	طبقي	طبقي مشفه	فوي	حلقي	حنجري
منغلقة	غير مفخمة	مهموس		ⵜ			ⵔ	ⵔ	ⵒ		
		مجهور	ⵖ	ⵃ			ⵅ	ⵅ			
	مفخمة	مهموس		ⵄ							
		مجهور		ⵄ							
منقبضة	غير مفخمة	مهموس	ⵅ		ⵙ	ⵛ			ⵅ	ⵀ	ⵖ
		مجهور			ⵚ	ⵊ			ⵄ	ⵃ	
	مفخمة	مهموس			ⵙ						
					ⵚ						
أنفية			ⵎ	ⵏ							
اهتزازية	غير مفخمة			ⵔ							
	مفخمة			ⵕ							
منحرفة				ⵍ							
شبه صامت			ⵍ			ⵢ					

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

4.2. النظام الصائتي للأمازيغية المعيار.

يتشكَّل النظام الصائتي للأمازيغية من ثلاثة صوائت رئيسية، بالإضافة إلى الصائت المختلس (shwa). ونعرض هذه الصوائت فيما يلي:

- ⵄ : ومقابله اللاتيني (a)، كما يقابله الالف أو الفتحة في العربية.
- ⵓ : ومقابله اللاتيني (u)، ويمثل الضمة في العربية.
- ⵉ : ويقابله في الحرف اللاتيني (i)، والكسرة في الكتابة العربية.

أما فيما يخص الصائت الصامت ⴻ (schwa)، فلا يرد إلا في حالات نادرة ضرورية لتفادي تتباع نفس الغرافيم الصامت ثلاث مرات. ففي حالة التضعيف في الإملائية الأمازيغية يتم إعادة كتابة نفس الحرف مرتين، وإن ورد بعد هذا التضعيف نفس الحرف، وجب الفصل بينه وبين الحرفين السابقين بالصائت الصامت ⴻ، على سبيل المثال: ⵜⵍⵍⵉⵍⵍⵉ (الحُرية tilelli).

خطاطة 1: النظام الصائتي للغة الأمازيغية (اعمر، مفتاحة وآخرون (2006). ص 21)

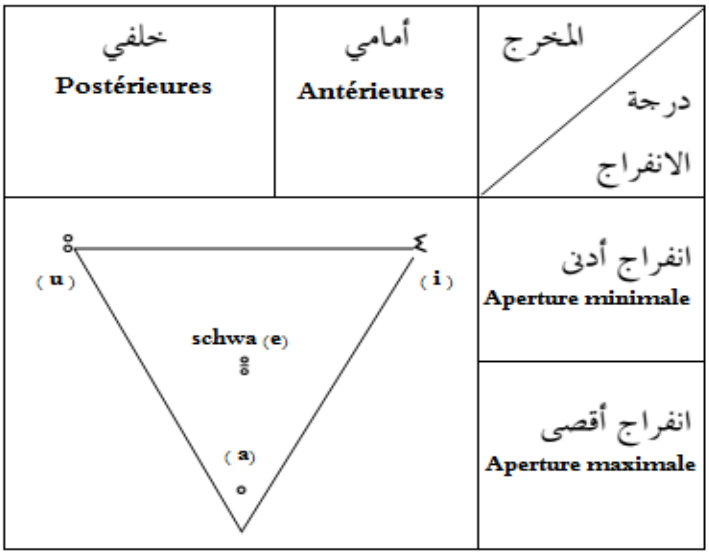

3. مظاهر الشفافية الإملائية للأمازيغية

تشكل فرضية العمق الإملائي (orthographic depth hypothesis) محورا مركزيا في مختلف والأبحاث المنجزة حول القرائية (Katz, L. & Frost, R. 1992; Katz & Feldman, 1983;). وتصنف هذه الفرضية الأنساق الإملائية للغات إلى نمطين متقابلين: لغات ذات أنظمة شفافة (shallow orthography) سهلة التعلم، ولغات ذات أنساق إملائية عميقة/ غامضة/ معتمة

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

(deep / opaque orthography) تتسم بالصعوبة والتعقيد، من خلال مدى امتثالها لمبدأ التوافق بين المنطوق والمكتوب، تحديداً الفونيمات والغرافيمات (Grapheme-to-Phoneme Correspondence: GPC).

وإذا كانت الأنظمة الإملائية الشفافة (shallow/ transparent orthography) تتميز بامتثالها للمعادلة (1غرافيم = 1فونيم)، لذلك تسمى أيضاً بالإملائيات المنتظمة (regular)، مما يشكل عاملا مساعداً في تيسير تعلمها،فإن الأنظمة العميقة غير الشفافة، (قدمت لها ترجمات أخرى كالثخونة والعتمة) والتي تسمى أيضاً غير المنتظمة (irregular) التي لا تحتكم لمعادلة ثابتة، فقد يرمز للفونيم الواحد بغرافيمات متعددة أو العكس،

تتسم الأمازيغية بنظام إملائي شفَّاف (shallow orthography) يمتثل للمعادلة (1غرافيم = 1فونيم)، ويستجيب لمبدأ التوافق الخطي-الصوتي. فقد راعى المعهد الملكي للثقافة الأمازيغي أثناء معيرته للكتابة الأمازيغي مجموعة من الاعتبارات والمبادئ كان من أهمها، إضافةً إلى التأصيل التاريخي، مبدأ السهولة واليسر. فقد تم الحرص قدر الإمكان على تجنب الحروف المزدوجة، والامتثال لمبدأ التوافق بين المستوى الصوتي الفونيمي والخطي الحرفي (CPG) قصد تيسير مسارات القرائية. (Ameur, M., Bouhjar, A., Boukhris, F. Boukouss, A., Boumalk, A., Elmedlaoui, M., Iazzi, E. 2006.p 43,44).

وسنعرض فيما يلي أبرز مظاهر الشفافية الإملائية للأمازيغية (orthographic transparency).

- ثبات الرسم الخطي للحرف في كل السياقات

تتعدد مظاهر الانتظام والشفافية الإملائية للأمازيغية، إذ تتضمن 33 غرافيما/حرفاً يقابل 33 فونيم، امتثالاً للمعادلة (1غرافيم = 1فونيم) التي تشكل أساس الأنظمة الإملائية الشفافة. وتتخذ الحروف في الأمازيغية صيغةً ثابتة في مختلف السياقات، فلا يتغير شكل الحرف سواء ورد في بداية أو وسط أو نهاية الكلمة أو ورد منعزلاً. كما أن الكتابة الأمازيغية لا تتفرع – شأنها شأن العربية – إلى نمطين من الكتابة كبيرة وصغيرة (masijcule/miniscule) على نحو ما هو سائد في الفرنسية، لما سيخلقه الأمر من لبس في بعض الحروف التي تتخذ نفس الرسم (مثلاً (o)و(O). (Ameur, M., Bouhjar, A., Boukhris, F. Boukouss, A., Boumalk, A., Elmedlaoui, M., Iazzi, E. 2006.P 45).

- تمثيل الحروف في الأمازيغية للتحققات الأصو اتية

تستمد الإملائية الأمازيغية اقتضاءات تمثيلها الحرفي من نسقها وتحققها الأصواتي. إن أبرز ملمح يبرز شفافية الأمازيغية أرتوغرافيا حملها وتمثيلها للتحققات الأصواتية من ترقيق وتفخيم وغيرهما، لما تحظى به هذه الظواهر من أهمية لا تقف عند حدود ما هو أصواتي بل تتجاوزه إلى المستوى الدلالي والمعجمي، إذ يتغير معنى الكلمة الواحدة إذا ما طرأ تغيير على صفة الحرف. وسنعرض فيما يلي أبرز تجليات حضور التحقق الأصواتي.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

- التمثيل الخطي لصفة التفخيم

تُميز أبجدية تيفيناغ بين الزاي المرققة (ⵣ) والمفخمة (ⵥ) بحكم تأثير صفة التفخيم في المستوى الدلالي المعجمي، كما تُميز كذلك بين الراء المرققة ⵔ والراء المفخمة ⵕ، إذ تحمل الحروف في الألفبائية الأمازيغية صفة التفخيم كما هو مبين في الجدول الآتي:

جدول 3: صفة التفخيم بالحروف في الألفبائية الأمازيغية

غير مفخَّم	مفخَّم
ⵣ [z]	ⵥ [ẓ]
ⵔ [r]	ⵕ [ṛ]

– التمثيل الخطي لصفة الشفوية

تتضمن أبجدية الأمازيغية تمييزاً بين الفونيمات المُشفَّهة وغير المشفهة، وذلك من خلال إضافة الرمز ◌ⷯ للإشارة إلى حركة تدوير الشفتين المُلازمة للفونيم المُشفَّه. ويتعلق الأمر تحديدا بالحرفين/الفونيمين [g] و [k]، إذ يرِد كل منهما في صيغتين: إحداهما غير مشفهة، على نحو ما هو سائد في باقي اللغات، والأخرى مشفهة. (Ameur, M., Bouhjar, A., Boukhris, F. Boukouss, A., Boumalk, A., Elmedlaoui, M., Iazzi, E. 2006. P 46).

يختلف الفونيم/الحرف الحلقي [g] ⵖ الحلقي عن ⵖ◌ⷯ [gʷ] الحلقي الشفوي، كما يتميز الكاف غير المشفَّه ⴽ عن الكاف المشفَّه ⴽ◌ⷯ

جدول 4:الفونيمات المُشفَّهة وغير المشفهة في الأبجدية الأمازيغية

غير مشفَّه	مشفَّه
ⴽ [k]	ⴽ◌ⷯ [kʷ]
ⵖ [g]	ⵖ◌ⷯ [gʷ]

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

– كتابة الحرف مرتين في حالات التضعيف (la gémination)

من تجليات التوافق الخطي-الصوتي كذلك في الأمازيغية الاكتفاء بكتابة الحرف مرتين في حالة التضعيف، كما هو الشأن بالنسبة للتمثيل الأصواتي نظرا لسهولة هذه الطريقة.

نخلص إلى أن هذه الحروف المعتمدة في أبجدية الأمازيغية تتخذ طابعاً فونولوجيا يجعلها حروفاً صوتية (Phonogrammes) حاملة للسمات الأصواتية. ويُفترَض بالتالي أن تسهّل طبيعة هذه الحروف الصوتية في الأمازيغية على القراءة/الكتابة دون حاجة إلى قواعد مساعدة، وتجعل المتعلم يقتصر على مع وحدات صغرى (الفونيمات/الغرافيمات) دون حاجة إلى الاستعانة بوحدات أكبر كالمقطع والكلمة كما هو الحال بالنسبة للأنظمة الإملائية العميقة.

4. تجليات فقر المحيط القرائي للأمازيغية بالمغرب

رغم ما تتسم به الأمازيغية من شفافية إملائية، تتطابق فيها الفونيمات مع الغرافيمات، فإن تدريسها وتعلمها بالمدارس المغربية لازال يتخبط في عدة إكراهات ومشاكل وتحديات، إذ لم تنحت الأمازيغية بعد لنفسها مكاناً كما هو الشأن بالنسبة للعربية والفرنسية رغم مضي سنوات عدة على ترسيمها دستوريا، ولم تشهد بعد انتشارا أو تداولاً كتابيا بالشكل المأمول، ويرجع ذلك لعدة أسباب وعوامل سياسية اجتماعية تربوية... نلخصها في مفهوم عامل فقر المحيط القرائي/الأحرفي (literacy-poor environment).

1.4. المحيط القرائي (literacy environment): **عناصره وأهميته**

يُعد المحيط الأحرفي/ القرائي (literacy environment) مفهوماً عاماً شاملاً يُطلق على كل ما يحيط بالمتعلم من موارد تتيح له سبل القراءة والكتابة، أي ما يُوفره الوسط التي ينتمي إليه المتعلم من وسائط أو كتب أو أجهزة الكترونية تُمكنه من تنمية مهاراته في القراءة والكتابة. يُشير المحيط الأحرفي بشكل أعم إلى درجة التعرض للغة قراءةً وكتابةً، سواء في المحيط الأسري، أو المدرسي، أو الاجتماعي بشكل أعم، أو الإعلامي، أو الرقمي...وغيرها من السياقات التي تُسيّج المتعلمين، وتؤثر في مستواهم وأدائهم في القراءة والكتابة بلغة أو عدة لغات معينة.

يلعب المحيط القرائي دوراً بارزاً في تحضير الأطفال وإعدادهم للقراءة والكتابة قبل ولوج التعليم الرسمي (بياسطا وواغنر 2010)، وتشير هذه البيئة القرائية إلى درجة التوفر على مكتبات وعدد الكتب أو المجلات المُتاحة في البيت، ومدى تواتر عملية القراءة للأطفال، ومواقف الآباء حول التعلم ودورهم كقدوة (شيو، وماك براید-شانغ، 2006)، هذا إلى جانب طبيعة البرامج والإنتاجات التي يشاهدونها في الإعلام، ومدى ملاءمتها في تحسين مداركهم القرائية الكتابية.

يتشكل المحيط القرائي للمتعلمين انطلاقاً من عدة عوامل مرتبطة بالخلفيات السوسيواقتصادية، وبالتمثلات والمعتقدات السائدة في محيطهم، وبالمستوى الثقافي التعليمي للأسرة التي نشأ فيها الطفل، ودرجة التوفر على موارد قرائية كتابية، ودرجة التعرض للغة معينة دون غيرها من اللغات...الخ.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

يتضح أن المحيط القرائي مفهوم شاسع يشمل عدة عناصر، كما يتخذ عدة أنماط منها المحيط القرائي الذي توفره الأسرة للمتعلمين داخل البيت (home literacy environment) ، وكذلك البيئة القرائية التي تُسيج المتعلمين في المؤسسات التعليمية، بمختلف فضاءاتها وخدماتها سواء داخل الأقسام أو غيرها، في إطار ما يُسمى بالمحيط القرائي المدرسي (school literacy environment)، كما يتسع مفهوم المحيط القرائي ليشمل أبعاداً أعم تضم طبيعة المجتمع الذي ينتمي إليه المتعلم، بمختلف خلفياته وخصائصه وتمثلاته، مشكِّلاً محيطاً أحرفيا مجتمعيا (community literacy environment). وسنتطرق فيما يلي بالتفصيل إلى مختلف هذه الأنماط.

- المحيط القرائي الأسري (home literacy environment)

يُحدث الوسط الأسري الذي نشأ فيه الطفل وقعاً قوياً على مسارات تعلماته القرائية-الكتابية بمختلف ما يُمرره له من أفكار وتمثلات، وما يوفره من موارد قرائية؛ ولهذا فكثير من التفاوتات القائمة بين مستويات المتعلمين نابعة من التباينات في محيطهم القرائي الأسري.

- المحيط القرائي المدرسي (school literacy environment)

يختزل مفهوم المحيط القرائي المدرسي مختلف ما توفره المدرسة من تعلمات وخدمات وظروف تُحدث أثراً في مستواهم القرائي-الكتابي، سواء تعلق الأمر بالحصص الدراسية الرسمية، التي تحتكم إلى الأطر والتوجهات التي تحدد طبيعة المنهاج الواجب اعتماده في التدريس، بمختلف ما يشمله من طرائق وأدوات، أو تعلق الأمر بمختلف الأنشطة أو الموارد التي يوفرها الفضاء التعليمي التربوي للمتعلمين.

- المحيط القرائي المجتمعي (community literacy environment)

يعد المحيط القرائي الاجتماعي مفهوما شاملاً، يشير إلى مدى تعرض المتعلمين للغة، قراءةً وكتابةً، في مجتمعهم الذي يشمل مختلف تفاصيل حياتهم اليومية، في الفضاء الأسري والعائلي، ومختلف ما يرتادونه من فضاءات تجعلهم يتعرضون ويحتكون بلغات معينة دون أخرى.

2.4. غِنى وفقر المحيط القرائي (rich/ poor literacy environment)

يُصنَّف المحيط القرائي إلى صنفين حسب درجة وقوة التأثير فتميز بين المحيط القرائي الغني والمحيط القرائي الفقير. ويُقصد بغنى المحيط القرائي (literacy-rich environment) وفرة إمكانيات الحصول على موراد قرائية وكتابية، وقوة التعرض للغة المتعلمة قرائيا وكتابيا، وملاءمة ظروف اكتساب وتعلم هذه اللغة سواء في الوسط الدراسي، أو الأسري، أو المجتمعي بشكل أعم، فضلاً عن المجال الرقمي. بينما يحيل فقر المحيط القرائي (literacy-poor environment) إلى ضعف، أو انعدام، الفرص المتاحة للتمكن

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

من اللغة قراءةً وكتابة، والافتقار إلى الموارد الأساسية من كتب أو دعائم مما يقود إلى تدني مستوى المتعلمين في القراءة والكتابة، خلافاً للمتعلمين الذين يحظون بمحيط أحرفي غني

تتحكم عدة عوامل خارجية في تحديد طبيعة المحيط القرائي للمتعلمين، أهمها الخلفيات السوسيو-اقتصادية للمتعلمين، وما تحدثه من آثار بارزة على تعلمات التلاميذ عامة، والقرائية الكتابية خاصة، منها ما يتعلق بأوضاعهم المادية، ومدى قدرة أسرهم على توفير الموارد، إلى جانب المستوى التعليمي الثقافي لأسرهم. فضلاً عن المحيط القرائي المدرسي، ومدى ملاءمة ظروف التعلم في المدرسة للنهوض بمستواهم القرائي الكتابي، سواء على مستوى المنهاج، أو البنية التحتية للمؤسسات التعليمية، ومدى استجابتها للشروط اللازمة. فضلاً عن عوامل أخرى ذات طابع سياسي، متعلقة بوضع ومكانة اللغة والتمثلات السائدة حولها، مما يؤدي إلى الإقبال على تعلم تلك اللغة، أو الإعراض عنها.

تتعدد الأسباب التي تقود إلى فقر وضعف المحيط القرائي للمتعلمين، في طليعتها الخلفيات السوسيو-اقتصادية؛ تتأثر القرائية بعدة ظواهر سوسيو-اقتصادية أبرزها آفة الفقر الذي يحول دون قدرة الكثير من الأسر على تحمل تكاليف دراسة أبنائها، وتوفير مستلزماتها الضرورية من كتب وأدوات، وبالتالي، افتقار وحرمان فئة من المتعلمين من أبسط ضروريات تعلم القراءة والكتابة. فضلاً عن المستوى التعليمي الثقافي للآباء، إذ أن أمية الآباء في كثير من الأوساط تشكل عائقا وعاملاً مؤثراً بشكل سلبي، إذ أن حظوظ التلاميذ الذين نشؤوا مع أبوين، وكذلك إخوة وأقارب، متعلمين أكثر في تحصيل أفضل. تختلف ظروف التنشئة الاجتماعية مع أسرة وأبوين متعلمين اختلافاً جذرياً عن التنشئة داخل محيط أسري أُمي، فداخل الأسر المتعلمة تتوفر مكتبة، أو على الأقل بعض الكتب التي تتيح للطفل الاحتكاك بالمقروء، ومنهم من كانت تُقرأ له قصص من الآباء بشكل ينمي لديه عدة مهارات، خلافاً للأطفال وسط أسر لم تتَح لهم فرصة التعلم، وبالتالي افتقارهم إلى فرص للاحتكاك بالمقروء. يُعد كذلك ضعف البنية التحتية للمدارس من أكبر العوائق كذلك المطروحة افتقار المدارس في الأوساط المهمشة إلى أبسط الشروط الأساسية، والخزانات والمكتبات التي تلعب دورا أساسياً في احتكاك المتعلمين بالنصوص.

تختلف مسارات القرائية في المغرب، وتتفاوت فرص وحظوظ التمكن من اللغات، حسب درجة غنى أو فقر محيطها القرائي، ودرجة حضورها في بيئة ووسط المتعلمين، الأسري والمدرسي والرقمي الإعلامي، والاجتماعي بشكل أعم، وحسب التمثلات والمعتقدات السائدة حولها.

3.4. فقر المحيط القرائي للأمازيغية بالمغرب

تعتبر الأمازيغية لغةً وطنية ورسمية للمغرب، ويُفترض أن يُكسبها هذا الطابع سيادة وهيمنة في كافة المجالات؛ لكن، خلافا لذلك، فحضور الأمازيغية في المغرب لا يزال باهتاً محتشما، خاصة على مستوى الكتابة والتدوين، وينحصر عادةً في الأوساط التي يتم فيها التداول شفهيا بالأمازيغية. ولذلك، فإن المحيط القرائي للغة الأمازيغية يتسم بفقر وضعف تتضاءل معه فرص تعلمها والتمكن منها قراءةً وكتابةً.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

من أبرز تجليات فقر محيط الأمازيغية القرائي عدم تعميمها على كافة الأسلاك التعليمية بالمغرب، فقد حُصر تدريسها في السلك الابتدائي دون الثانوي، ولم يُعمَّم في جميع المدارس الابتدائية بالمغرب، وعدم تعميم مادة معينة في الأسلاك التعليمية يُرسِّخ الاعتقاد بكونها محض عنصر ثانوي يمكن الاستغناء عنه؛ إذ عادةً ما يُواجه مدرسو الأمازيغية في كل موسم دراسي تحديات وإكراهات متجسدة في تكليفهم بتدريس مواد أخرى عوض الأمازيغية بذريعة سد الخصاص.

يتجلى فقر المحيط القرائي المدرسي للأمازيغية في شح الغلاف الزمني المخصص لها، والذي لا يتجاوز ثلاث ساعات أسبوعيا، تُخصَّص منها نصف ساعة لكل مُكوِّن. ويمتد هذا الغلاف الزمني الضيق ليشمل كافة المستويات بالابتدائي، من السنة الأولى إلى السادسة.

ومن أبرز العوامل والمؤثرات التي قادت إلى ضعف وفقر المحيط القرائي للأمازيغية نذكر:

- سيادة الطابع الشفهي الذي وسم الأمازيغية لقرون، دون طابع الكتابة والتدوين.

- كون خط تيفيناغ جديدا غير مألوف بالنسبة لفئة من المغاربة التي اعتادت التعامل مع الخطين العربي واللاتيني.

- عدم إدراج الأمازيغية في كافة الأسلاك التعليمية، شأن العربية والفرنسية، وعدم تعميم تدريس الأمازيغية في جميع المدارس المغربية، والاقتصار فقط على بعضها دون البعض الآخر، مما يجعلها عُنصراً هامشياً تكميلياً يُمكن الاستغناء عنه في أي وقت.

- شح الغلاف الزمني المخصص لتدريس الأمازيغية، بالمؤسسات التعليمية الابتدائية، والذي لا يتجاوز ثلاث ساعات أسبوعيا.

- إشكالية المعيرة (standarisation) وعدم شيوع وهيمنة النسق المعياري الموحد الذي تلتحم وتنصهر فيه كل التباينات الجهوية والمحلية، وانحصار توظيف الأمازيغية وتداولها في التفرعات غير المعيارية.

خاتمة

نخلص في الأخير إلى كون القرائية الأمازيغية مجالاً مركباً يتجاذبه عنصران متقابلان: أحدهما مساعد والآخر مُعارض. فإذا كانت الشفافية الإملائية للأمازيغية وتوافق نظامها الصوتي والحرفي عاملاً مساعداً مُسهماً في تيسير سُبل تعلمها، فإن فقر محيطها القرائي يشكل عائقاً حقيقيا في مسار القرائية الأمازيغية، وفي تدريسيتها في المغرب بشكل أعم. ويعد هذا الفقر والضعف على مستوى المحيط القرائي للأمازيغية حصيلة لتراكمات تاريخية سياسية واجتماعية إيديولوجية قادت إلى إزاحة الأمازيغية من المشهد اللغوي بالمغرب، خاصة على مستوى الكتابة والتدوين.

وتبرز بالتالي الضرورة المُلحة لإغناء المحيط القرائي للمتعلمين، في سبيل الارتقاء بمستواهم في القراءة والكتابة بالمدرسة المغربية، من خلال تفعيل الطابع الرسمي للأمازيغية، وتعميمها في المدارس المغربية، بمختلف أسلاكها، في سبيل تعزيز التعددية اللغوية الثقافية، وتحقيق العدالة اللغوية بالمغرب، وترسيخ قيم الاعتزاز بالهوية.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

لائحة المصادروالمراجع

المراجع بالأجنبية

- Ameur, M et al. (2004). Initiation à la langue amazighe. Publications de l'IRCAM. Centre de l'Aménagement Linguistique (CAL). Série: Manuels n 1. Rabat. Maroc.
- Ameur, M., Bouhjar, A., Boukhris, F. Boukouss, A., Boumalk, A., Elmedlaoui, M., Iazzi, E. (2006) : Graphie et orthographe de l'Amazighe. Publications de l'IRCAM. Rabat, Maroc.
- Katz, L & Feldman, L. (1983). Relation between pronunciation and recognition of printed words in deep and shallow orthographies. Journal of Experimental Psychology: Learning, Memory, and Cognition, 9(1), 157–166.
- Katz, L. & Frost, R. (1992): The reading process differs for different orthographies: The orthographic depth hypothesis. *Haskins Laboratories Status Report on Speech Research.*
- Wagner, D. A. (1993). Literacy, culture, and development: Becoming literate in Morocco. Cambridge University Press.

المراجع بالعربية

- أحرشاو، الغالي (2013): "الوعي الفونولوجي وتعلم القراءة بالأمازيغية". منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية. الرباط – المغرب.

- اعمر، مفتاحة وآخرون (2006): مدخل إلى الأمازيغية: ترجمة رشيد لعبدلوي. منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية. الرباط.

- البغدادي، محمد وآخرون (2016): تقويم التحصيل الدراسي لدى تلميذات وتلاميذ التعليم الابتدائي في اللغة الأمازيغية من خلال مكوني القراءة والتعبير الكتابي. مركز البحث الديداكتيكي والبرامج البيداغوجية. منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية. سلسلة دراسات وأبحاث رقم: 58.

- الفاسي الفهري، عبد القادر & العمري، نادية (2009): معجم المصطلحات اللسانية (انجليزي-فرنسي-عربي). دار الكتاب الجديدة. بيروت، لبنان. ط1.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved